وتأكدت اهمية فتح قازان البالغة بالاستقبال الشعبي الباهر الذي نظم لإيڤان في شوارع موسكو كلما تقدمت به الخطـا حتى انه كان من المستحيل عليـه ان يتحرك احياناً لكثرة ازدحام الجماهير المتكتلة كي تقبّل يديه او رجليه . فالروس كانوا يقبلون اول قياصرتهم لانهم كانوا يرون فيه ضماناً لمستقبل مجيد لروسيا ولأولاد اولادهم ، والشعب يستطيع في بعض الأحيان أن يحسن تقدير معنى حادث تاريخي اكثر من الحكومة او السلطان .

نزل إيڤان عند باب ستريتينكا لينحني أمام إيقونة ام الله التابعـة لڤلاديمير بحضور المتروپوليت وحضور أسقف كل كهنة موسكو فاعترف بذلك بقدرة الصلاة على غفران خطايا صباه ، تلك القدرة التي سمحت له بأن يمشي الى قازان ويقضي على من فيها من الوثنيين . ثم انتهى في صلاته الى هذا الدعاء :

« والآن إنني اتضرع إليكِ . اكملي شفاعتك المقبولة أمام عرش الله كي اتمكن من إقامة القانون والحق وحسن الأخلاق في الدولة ولكي يصبح الوطن المتمتع بالسلام قادراً على التنعم بالفضيلة التي تزدهر المسيحية في ظلها ، ولكي يتمكن رعايا روسيا الجـدد من الكفار من التعرف على الإله الحقيقي فيحمدوا ويكرموا الثالوث المقدس عبر العصور ، آمين » .

بعد ذلك أعلن ماكاري العجوز في لهجـة مؤثرة قبوله للنصر الذي تحقق باسم الكنيسة وباسم الدين الحقيقي . ثم صرخ وكأنه يلفظ حكم الله نفسه : « أيها العبد المبارك ! لقد كنت مخلصاً في هذا الأمر الصغير وإنني سأكلفك بمهمات كثيرة في المستقبل » . ثم انحنى المتروپوليت بعد ذلك هو وكهنته أمام القيصر حتى لامست جباههم التراب .

أما القيصر فقد نزع عنه درعه ذا الزرد ورمى سيفه ليعود الى لبس الأرجوان . وكان صليب كبير يزين صدره بينما كان يلمع فوق جبهته